شيراز

تصدر عن
مركز الفكر والفن الاسلامي

المشرف العام: حسن بنيانيان

نافذة على الادب الايراني

العدد الثالث / شتاء ٢٠٠٥

نـافـذة / رئيس التحرير / مقاربة للسيرة و المسيرة ٢

حوار مع الروائي العربي الاستاذ جمال الغيطاني
في عشق شمس تبريز ٦

دراسات

نيمايوشيج رائد الشعر الفارسي الحديث / د. حميد زرين كوب ١٨

نماذج من شعر نيمايوشيج ٢٧

ما ينفع الشعراء في الزمن العسير ؟ / د. رضا داوري ٣٢

الدكتور محمدموسى الهنداوي / سعدي الشيرازي شاعر الانسانية /
الدكتور صادق خورشا ٤٤

شعر

أحمد رضا احمدي ٥٢

فاطمة راكعي ٦٠

تيمور ترنج ٦٦

فرشتة ساري ٧٤

قصص

شروط الزواج / كيومرث صابري ٨٠

المحرقة / جمال مير صادقي ٨٨

ها هو اليتيم بعين الله ! / محمد رضا سرشار ٩٢

ليتها لم تكن الورود الحمراء / منيجة آرمين ١٠٢

ضيف التراب / بيجن نجدي ١١٢

اخبار وكتب ١٢٠

ترجم قصائد هذا العدد: موسى بيدج

رئيس التحرير: موسى بيدج

المدير الفني والرسوم: باسم الرسام

المستشار: علي رضا قزوة

لجنة الترجمة: حيدر نجف، سمير ارشدي، صادق خورشا، موسى بيدج

سعر النسخة : ١٢٠٠٠ ريال ايراني

المراسلات: طهران - شارع حافظ - تقاطع سمية - مركز الفكر والفن الاسلامي مكتب مجلة شيراز
طهران - ص. ب: ١٥٨١٥/١٦٧٧ - تلفاكس: ٨٨٩٥٥٤٣

ها هو اليتيم بعين الله !

محمد رضا سرشار

ترجمة: الدكتورة بتول مشكين فام

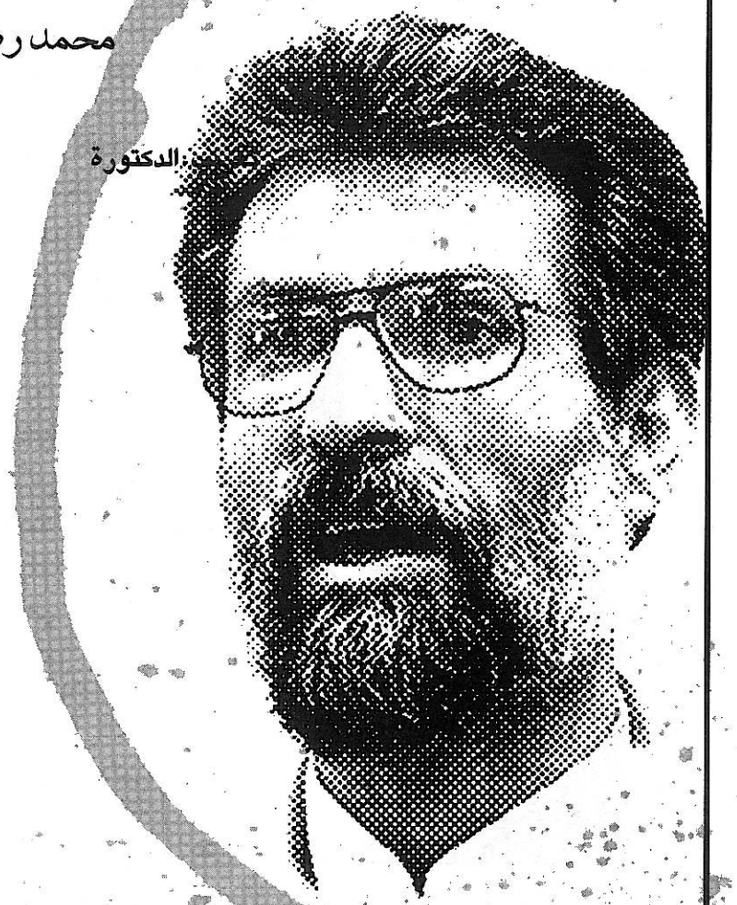

ولد محمد رضا سرشار ،المعروف بـ (رضا رهكذر) سنة ١٩٥٣ م . نال شهادة الثانوية عام ١٩٧٢ م . وبعد الخدمة العسكرية - التعليمية ، واصل دراسته في كلية الهندسة بالجامعة الصناعية في طهران ، ومنذ ذلك الحين أستوطن هذه المدينة .

صفحات بعض الدوريات الأدبيه فسحت المجال سنة ١٩٧٣ م لنشر أول ما نفح من يراعه (سرشار) وصدر كتابه الأول عام ١٩٧٦ م ، ثم بلغ مانشر قبل الثورة ، أربعة عناوين ، وعدداً من القصص القصيرة .

وبعد الثورة صدرله (٨٥) مؤلفاً ومترجماً ، خصّ بها الأطفال واليافعين وغيرهم ، منها قصص ، وروايات نقدية ، ومداخل نظرية ، وأخرى أدبية ، حصدت مؤلفاته (٢٦) جائزة على المستوى الوطني ، وترجم عدد منها الى اللغة الانكليزية والأردية .

(لسرشار) أربعة كتب جديدة قيد الطبع ، وعشرات من المقالات ، والعروض النقدية ، والمقابلات الخاصة ، ونشرتها مختلف الدوريات ، الا أنها لم تنتظم بعد في مؤلف واحد .

تولى بعد الثورة عدداً من المهام والوظائف ، منها : التدريس في جامعة طهران ،وأعداد برامج اذاعية وتحريرها ، واذاعة برنامج (قصة ظهر الجمعة) على مدى (٢٢) سنة ، ورئاسة تحرير (٤) مجلات خاصة بالأطفال واليافعين ، وفصليتين معنيتين بالأدب .

للمزيد من التعرف على مؤلفاته ، نترجم فصلاً من روايته المكونة من عدة مجلدات : سيرة الرسول (ص).

أستند محمد الى يده اليمنى ، وقلع جسمه من حصباء الغار ، ثم استعدل قواه الى حد ما بعد أن فقدها خلال الدقائق العصيبة التي مرّ بها ، وأقام عوده المضني ليجرّه الى ربعه وناديه وهناً على وهن . وقف على رجليه ، وهمّ بتعديل بردیته ، ثم وطأ الأرض ليخرج من (حراء(.

الليلة هذه كانت كسابق الليالي ، والسماء ، والنجوم ، والهلال الهزيل ، وجبل حراء ، والسفح الجنوبي منه ، ومكة ، لم تبدُ مختلفة عما سبق ، لكن على ما يبدو أن في تلك الدعة ، وذاك السكوت الظاهري جيشان ....غليان ، وكأن وراء الكواليس مخاض عجيب .

أستعاد قلب الكون نبضاته ، بعد أن توقفت قبل قليل دقاته ، أنتعش العالم العتيق ، واشتعلت شبيبته بعد سكوت مقيت ، توقفت الحياة في شرايين الأرض ، واستعادت الطبيعة المنطلقة من سكوت مميت حياتها من جديد ، تنفست الصعداء بزفير وشهيق عميق ، فقد تخلّصت من بغتة الموت ، انسلخت فيها عن شرنقتها البالية القديمة ، وبدأت عيشها الجديد .

كأن في السماء اختلاف ورواح ، والفضاء مفعم بالزمازم ، وفيها الراح . والجبل والصفا والشوك والتراب ، يهمس البعض في آذن البعض الأسرار .

– سلا م عليك ، يا مصطفى الله !

يدير محمد رأسه هنا وهناك ، الا أنه لا يرى الا الطبيعة المعهودة الصامتة : جبل حراء بعنفوانه الصلد الأسفع ، وفي جنوبه سلسلة تلال محيطة بمكة ، وعلى جانب آخر تمتد الجبال حتى يثرب ، عبر وديان وسهول بطحاء جرداء ، ومن الشمال تنتهي تلك الجبال الى ميناء جدّة حيث شواطيء البحر الأحمر ، وفي جانب آخر سهول عرفات وربوع منى ، ومدينة الطائف.

الطبيعة مخيّمة على كل مكان ، راقدة في أحضان الليل الحالك بصمت ، راكدة في أعماقها ، راكنة الى أسرارها ، دون أن تحمل على ظهرها كائناً ينطق . يئن محمد من جسم مثقل ، أعياه مالا طاقة له به ، يحمله في ممر جبلي وعر ، نحو الهضبة ، يخطو خطوات وئيدة ، تنثني خلالها أحياناً ركبتاه من ثقل ما يحمل . يستحضر عجيب ما سمع من كلام ، ويجيله في خاطره مع كل خطوة يخطوها متمتماً :

(اقرأ بسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ...(

فيطمئن قلبه ، الا أنه كان يشعر بالعياء في الروح والجسد ، نعم ، الروح والجسد ، كلاهما لم يستعدا بعد لهذا الارتباط الصعب – الغريب ، ارتباطاً لا طاقة لمحمد به ولا لغيره – تحمل ضغوطاً كثيرة ، ظن حينها أن روحه بلغت الحلقوم فعرجت الى آفاق شاسعة ، ثم نالت عظمة واستيعاباً أكبر فتلقى النداء من ذاك العالم الروحي الناصع بكل كيانه ، وحنانيته وكان محمد يعاني بها في جسمه من الأزمة والمضض ، وعلى رغم هبوب نسيم عليل ، في منتصف ليل خريفي ، كان يتلهّب في حماه ، من رأسه الى أخمص قدميه ، يسيل من صفحته المتلألئة ، جرف عرق رفيع ، يجري بين حاجبيه المزججين نحو عرنينه الأشم ، لكن معاناته هذه لم تكن تعادل ما اعترى قلبه من الرعب والهلع . ولولا بكاؤه المنفجر لكان قلب محمد يطير أو ينخلع ، عما سوف تتمخض الاعيب المصير ... ؟

اغتلى قلق كبير في كيانه ، فهيج خلده ، وأشعل جنانه . ترى ، هل سيبلي بلاء حسناً في فتنته الكبرى هذه ؟

فكر في معاناته ، وانتظاره المرّ الطويل على مدى السنين المتطاولة . الانتظار على وشك الانتهاء ، ترى هل يطيق مواجهة تلك الحقيقة ، الناصعة ، الخالدة ، التي طالما استشرف اليها شوقاً ، والتاع في لهيبها وجداً ؟ فاذن لماذا لا يشعر الآن بالفرح ، ولا يتلمس في كيانه الجذل ولماذا عشعش فيه القلق والفزع ؟؟

ركن الى سفح الجبال ، فشعر فجأة بتغير مبهم فيما حوله ، ورأى في أفق السماء حيث يلتقي دوماً مع الأرض نوراً أثيرياً ساطعاً ، خيّم على الفضاء بأسره ، حدّق بما كان يسطع ، فرأى ذاك الكائن السماوي الذي رآه فيما سبق ، وقد ملأ حضوره عينيه ، وسدّ عليه آفاق النظر . ترى أفي يقظة ما يرى ؟

أدار رأسه يمنة ، يا للعجب ... لقد كان هناك أيضاً ، متمثلاً أمامه رجلاً سويا ، في روعة فريدة ، وهيبة أثيرية ، كأنه صافن على ألف جناح . خطواته عريضه ، في كل أفق رسّخ قدماً ، كأنه شرّق بقدم على أفق من آفاق السماء ، وغرّب بالأخرى .

أينما يولّي طرفه ، فثمّ وجه صاحبه بقسماته وسكناته .

حل فيه قلق جديد وهلع .

ترى – رب – من هو ؟ ماذا يريد من محمد !؟

دوى في السماء فجأة ذاك الصدى السماوي الملهم ، فالتحم بروح محمد :

– يا محمد .... أنت رسول الله ، وأنا ملكه المرسل ، جبرائيل.

– ماذا ...!؟

– يا محمد .... أنت رسول الله ، وأنا ملكه المرسل ، جبرائيل .

ربّ.... ماذا كان يطرق سمعه ؟ هل صحيح ما يسمع !؟

– يا محمد .... أنت رسول الله ، وأنا ملكه المرسل ، جبرائيل .

لا ، لا أضغاث ولا أحلام ، بل هي اليقظة والحقيقة بعينيها .

بعد فترة من السكوت ، قضى خالق الكون – مرة أخرى – أن يكلّم عباده ، وقد اصطفاه وهو من بينهم ، اذا كان أصلاً لمناجاته ، وابلاغ نداءا ته . آه هذا أكبر مما كان يتوقع ، وفي تلك اللحظات ذاتها كانت روحه لا تسع ما يسمع .

محمد راضٍ بما ناله من الهدى والسداد ، الا أنه يعزّ عليه دوماً شقاء الناس والضلال

. ترُى أينهض على خير وجه بما أنيط اليه ... مسؤولية كبيرة ، غير متواضعة ، بل هي مضنية، تقصم الظهر ، اذ أنها مسؤولية ارشاد البشرية جمعاء وهدايتهم ، وستبقى على عاتقه ما دبّ الأنام على وجه الأرض .

همّه ، هم الانسانية جميعاً ، لا هم هذا وذاك . مصير البشرية وهدايتها هو الهم الذي لا ينال، الا بالتحطيم، تحطيم الذات، والذوبان في الآخرة ، وسير من الذات الى الاله ، ومن الاله الى الخلق والكائنات . ما أصعبه !

محمد يعيش في ازدواجية ، ازدواجية الفرح والحزن ، الأمل والخوف ، اليقين والشك ، المرارة والحلاوة . ماذا عساه أن يفعل ، وهو متفرق بين طمأنينة السنوات المتطاولة وما حلّ اليوم فيه من القلق العميق . الكائن السماوي الجليل قد ذهب ، والمبعوث الجديد في خيره ، يتثبت في خضمّ من مختلف المشاعر .

النبي الملتهب بحماه ، ترتعد فرائصه مما هاج به ، قد نكس الرأس في ذهول وهزال ، وهو يطأ سفوح حراء .

أخذ لا يتحمل حتى ما كان يحب ، من السكينة والعزلة ، في أحضان الطبيعة . فيتمنى الآن أن يعود الى دار أمانه ، ومأواه الى جانب زوجته خديجة ، اذ لم يكن يطيق وحده أن يتحمل كل هذا الوجد والقلق والهيجان .

كان عليه في سرعة أن يجد من يبث له أسراره ، ويشاطره شجونه وآلامه ، فيعينه في حمل باهض أعبائه .

ليت الفرسخين – المسافة بين حراء حتى حي الأبطح – كانت أقصر ، أو ليته كان يلاقي بعض أحبائه ليلقي معه المسافة السحيقة هذه .

في تلك الليلة ، زينب ورقية ، تقاسمتا الفراش معى وعلى راقد في غرفة تالية ، متصورة أن أبا القاسم سيظل في غار حراء ، قطعت لسان المصباح ، وقمت لأرقد وأنام . ما أن مضت ساعة ، حتى فزعت من نومي بغتة ، دون أن أعرف السبب والدليل .

بين اليقظة والنوم ، غلبني شعور غامض ، يوحي الي أن زوجي في مكان بعيد بعيد يستنصرنى، فزدت شديد قلق وأضطراباً عليه . تصورت في بداية الأمر أن الليل بكوابيسه المفزعة ، وحلكته الموحشة كان هو الدليل . الا أن شيئاً فشيئاً طغى عليّ القلق ، فتيقنت أن أبا القاسم في مكان ما يستغيثني من أعماق قلبه .

صممت على أن أرتدي ملابسي ، وانطلق الى حراء ، بيد أني تراجعت عن هذه الفكرة ، فالوقت متأخر ، والأطفال نيام ، ولا يمكن لى أن أخرج وحدي . ناديت زيداً –وقد بلغ أشده – لينطلق باحثاً عن متبنيه ، لكنه رجع بخفي حنين ، فاضي اليد ، خائباً .

لما استولىعليّ الأضطراب ، عقدت العزم على الأنطلاق ، الا أن طرقات الباب استوقفتنى،

طرقات هادئة ، طالما سمعتها من أبي القاسم عند رجوعه الى البيت في هزيع من الليل .
عرفت أنه هو .

لما فتحت الباب ، رأيته على ضوء الشمعة ، في حال تختلف عمّا كان عليه ، عند خروجه من البيت . صفحته الوردية فقدت رونقها المعهود وخالطها الشحوب ، وعينه الحور البراقة بدت بالحمى ملتهبة . فقد من عظيم قواه مافقد ، فما كان يتدارك نفسه ويتمالك ، دخل الدار ، وهو يتشبث بالباب والجدران ، ويتأرجح بين خطوات قصيرة وئيدة ، تتضوع منه رائحة لم أجد فيه مثله . أما وجهه فقد تضاعف تلئلأ ونصاعة .

هرولت اليه هارعة ، وتأبطته ، وهو أيضاً أستند بيديه الى كاهلي ، كأن جسمه يلتهب في بوتقة لافحة .

إنطلقنا نحو غرفة الاستقبال ، أول غرفة مطلة على الفناء ، كان يحاول أن يجر رجليه وهو يستند اليّ .

أستلقى في الغرفة على السرير ، فجلست الى جانبه ، وأخذت بيديه المحمومتين متسائلة : قل لي ، يا ابن العم ، ماذا حلّ بك !؟

أخذ يسرد ما جرى عليه بصوت باهت ، كأنه يتصاعد من قعر الجب . لما أستمعت اليه ، شعرت أنني مالكة الدنيا كلها ، ففرحت فرحاً عظيماً ، ولولا الحياء ، وذاك الوقت المتأخر من الليل ، لكنت أنفجر زغردة وأعلن في الحيّ عن فرحي الغامر .

التفت الى أبي القاسم قائلة : ألا تتذكر يا بن العم ، لمّا هبط اليك جبرائيل في المرات السابقة ، وناجيتني فيه ، قلت لك انه ليس بشيطان ، بل هو ملك ؟

حرك زوجي رأسه مؤيداً بلا حول ولا قوة .

قلت : يا أبا القاسم ، لا تستغرب ولا تعجب من أمر الله اذ بعثك للعالمين رسولاً ، فالصديق والعدو لا يفكران ما أنت عليه من الصدق والوفاء ، والأمانة ،واعانة المظلوم ، ونصرة الحق ، وحسن الخلق ، والشفقة والكرم ، وصلة الرحم .

هو الصدق كله ، بل أعظم من الصدق . لم ينخرط أبداً أبو القاسم أيام الشباب فيما أنخرط فيه فتيان العرب من الفجور والفسوق . وفي سن الكهولة لم يمس سوءاً ، ولم يره أحد عليه ، لحظات حياته قضاها على الطهر والصدق والاحسان ، فشغف به الناس ، وله كنّوا الحب.

وضعت خديجة يدها على جبين زوجها ، رأته عيناً حمئة تلفح ناراً ، الا أن روعه أخذ يهدأ ، فسكنت نظراته المضطربة .

– مهلاً ، يا بن العم ، قرعينا ، وأستقم ، والذي نفس خديجة بيده ، ان هذا جزاء ما عانيت ، وأجر ما أتقيت . بخ بخ لك الرسالة هذه ، يا أمين أهل الديار أجمع .

خديجة كأم عطوف ، أخذت بحنان يد زوجها ، وأنهضته من سريره . (حرارتك مرتفعة ، تعال معي ، يا أبا القاسم ، الى فناء الدار لأغسلك . عسى أن تفل عنك الحمى) .

نزع النبي عقاله ، وخلع بردته ، فوضعها على السرير ، وأنطلق مع خديجة . لما وصلا الى قعر الفناء الحالك ، قعد النبي القرفصاء على صفوان مرباع . فتحت خديجة الفوهة الخشبية لأول خابية مستندة الى الحائط وأخذت بالدلو المعلق عليه ، فصبّت من الخابية فيه الماء ، وأدارته على رأس زوجها ووجهه .

ولما صبت الماء على أبي القاسم ، ورجعنا الى غرفة الاستقبال ، استلقى على السرير هزيلاً ، فجلستُ الى جواره . قال لي مباشرة : يا خديجة ، اشعر بقشعريرة ، البرد ، زمليّني بالدثار!

وضعتُ تحت رأسه وسادة جلدية ، وغطيته ببردته ، الا أنه لم ينج من رجفته ، فد ثرته في المرة التالية بملحفة دون جدوى ، فبلغ به الأمر مبلغاً أن سرت الرعشة الى لحافة ، وفي المرة الأخرى ، القيت عليه بساط وبر ، فهدأت نفسه الا أن رجفاته بين حين وأخرى كانت تتعالى من تحت البساط .

بعد فترة قصيرة ، سمعت أنفاسه تسكن وتستقر ، فعرفت أنه غط في نومه .

ارتديت ملابسي ، وأدنيت جلبابي ، وانطلقت الى دار ابن عمي ، ورقة . كان دار ورقة على مقربة من جارنا ، عرفت من النور الساطع على الدرب ، من فتحه باب غرفته ، أنه ساهر ، وليله قائم .

طرقت الباب بهدوء ، فتحت ابنة عمي – أخت ورقة – لي الباب . لما دخلت الدار ، واجهني صهيب ، وهو خارج من غرفة ابن عمي ، وكان عازماً على الذهاب . (صهيب هذا منذ أمد بعيد زُجّ به من الشام أسيراً الى مكة . فأبتاعه عبد الله جدعان ، الا أنه أستطاع بحصانته و براعته ، في فترة وجيزة ، أن يفدي نفسه ، ويفك أسره)

دخلت الغرفة لّما ذهب صهيب .

– مساء الخير ابن العم !

– مساء الخير ، ألست خديجة الطهر !؟

– بلى ، يا ورقة .

– ما دهاك في هذه الساعة المتأخرة من الليل ، وما جرّ بك الى الخروج من البيت !؟

– استوقفني سؤال ، وألحّ عليّ فهمه ، فضقت صبراً للحصول على الجواب ، ولم أتحمل ، الانتظار حتى الصباح .

– حسناً حسناً ، لا يشترط للمعرفة الزمان ، ومعرفة اليوم خير من الغد . اسألي !

– يابن العم ، قل لي ماذا تعرف عن جبريل ؟

قام ورقة بعوده الهزيل ، منتصفاً ، مصوباً رأسه نحو خديجة :

– ها ..... أصحيح ما أسمع !؟ أنت تفوهت باسم جبريل الأمن !؟

– نعم يا بن العم ، قل لى من هو جبريل ؟

خر ورقه ساجداً ، ثم رفع رأسه مذعوراً يقول :ماذا...ماذا يا خديجة ؟

كيف تتفوهين باسمه الطاهر في هذه البلدة المنحرفة عن عبادة الله الأجلّ .

أقسم بالمسيح ، لن أتحدث عنه أبداً ما لم تخبريني من اين سمعت اسمه !

– سأخبرك يا بن العم ، شرط ، أن تعاهدني على كتمان ما أبثه اليك حتى يحين وقته .

– سأفعل ، يا ابنة العم ، سأفعل !

– هبط جبريل الليلة على أبي القاسم ، وحدّثه ... !

تهلّل وجه ورقة النحيل ، وأندفع فيه الدم ، فانفجرت وجنته حمرة بدت لخديجة رأي العين.

– يا قدوس ، يا قدوس ، هذه من عجائب آياتك ، ودليل قدرتك ! والآن ، خبريني أين هبط على زوجك !؟

– في غار حراء .

تبرق عين ورقة الغائرة ، وترعد في سرعه .

– يا خديجة ، اعلمى أن جبريل لو نزل على ديار لماج بالعجائب .

– يا ورقة ، ألم تكتب عنه الكتب التي أطلعت عليها !؟

رد ورقة ، وقد اغرورقت عيناه : ما هذا الذي تقولينه يا خديجة ، جبريل ملك الله الجليل، ورسوله المرسل ، وواسطة الخالق وكبار أنبيائه ، وذوي الغرم منهم ، فهو الذي هبط على موسى وعيسى .

أبرقت عين خديجة الفاتنة ، ولمعت فرحاً ، وقالت :

يا بن عمي ، ألم تذكر الكتب السابقة أسم محمد !؟

– يا خديجة ، قرأت في أخبار الماضيين أن الله تعالى سيبعث من هذه البلدة يتيماً يأويه ، وفقيداً يغنيه ، وضالاً يهديه ، خاتم الأنبياء ، لا نبي بعده .

– هل من مزيد ؟

– نعم ، نعم ، يا خديجة ، تكلّمه الموتى كما كلّمت عيسى ، وتحييّه الصفا والحجر ، وفي الشجر آيه نبوته . يا خديجة ان صدقت فيما رويت فأن الذي نزل به جبريل الأمين على أبي القاسم هو وحي الله ، وهو نبيه .

عزمت خديجة على الرجوع الى دارها ، فخاطبها ورقه قائلاً : يا سيدة نساء قريش ، أنا أيضاً رأيت في المنام خلا ل ليال ثلاث على التوالي أن الله بعث رسولاً الى مكة ، واليوم لا أرى بين الناس جميعاً من هو أجدر بالنبوة منه .

شكرته خديجة ، وقامت من مكانها .....